الأهرام

المصدر : أهـــــرام
التاريخ : ٢٣ فبرايـــــر ٢٠٠٠

بابا الفاتيكان فى مصر .. محبة وتساؤل!

ثم يعلم سيدنا بابا الفاتيكان زعيم الأغلبية المسيحية فى عالم اليوم «الكاثوليك» أن الإسلام حين دخل مصر قبل ١٤٠٠ عام، دعوة تامة وخاتمة، وقد جاء بالرسالة الإلهية ذاتها وبالمحبة نفسها، داعيا وهاديا، مكملا للرسالات السماوية، فكان أول ما فعله فى مصر هو الدعوة للدين الخاتم، فمن شاء فقد أسلم، ومن شاء فقد بقى على دينه ومعتقده، وكان أن بسط على المسيحيين حمايته ورعايته من بطش الرومان وتعذيبهم، بل هو الذى أعاد لبابا مصر كرسيه وكنيسته وقيادته، بعد أن كان مطاردا من الرومان هاربا فى الصحراء محروما من كنيسته!

ولم يكن ذلك مناورة فى السياسة ولا خداعا فى الحرب، كما يتنطع المتنطعون، بل كان تنفيذا صريحا لوصية رسول الإسلام لخلفائه: أوصيكم بقبط مصر خيرا، فإن لكم فيهم صهرا ونسبا، واتباعا لنص أكثر صراحة وتحديدا فى القرآن الكريم: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون».

هذا هو مفتتح خطاب ترحيبنا بالبابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان (٨١ سنة)، حين يبدأ زيارته للقاهرة غدا، ويلقى فيها فيضا من محبة الله يبذله شعب قديم مؤمن، كل برسله وكتبه، ثم يزوز بعد غد بعض مواقع رحلة العائلة المقدسة، منتقلا إلى جبل موسى عليه السلام فى قلب سيناء، لينعم بنظرة تامل فى المكان الذى تجلى فيه الله سبحانه إلى نبيه موسى، فكلمه من فوق أرض مصر، لتكون المرة الأولى والأخيرة فى مسيرة الرسالات، ولتكون أرض مصر مباركة على الدوام، مؤمنة على الدوام، مسالمة على الدوام، إلا حين يدوس أحد على كرامتها عصبها الحساس فإذا هى تنتفض وتثور!

■ ■ ■

نعلم أن زيارة قداسة بابا الفاتيكان هذه زيارة روحية، لا تنغمس بالسياسة ولا تغوص فيما يجرى على ساحة المنطقة من صراع خانق، حول بقعة مقدسة لدينا جميعا هى فلسطين، وعلى رأسها القدس حيث كنيسة القيامة والمسجد الأقصى وحائط البراق، وحيث مهد المسيح ومسرى النبى محمد عليهما السلام.

لكن ترحيبنا بقداسته فى مناسبة تاريخية كهذه، لا يجب أن يقف عاجزا حتى عن إطلاق صرخة رجاء لرأس الكنيسة الكاثوليكية، لكى يمارس معنا حقه وحقنا فى تنبيه الضمير العالمى - إن كان ثمة ضمير - إلى خطورة ما يجرى فوق تراب فلسطين مهد السيد المسيح عليه السلام، الذى نؤمن به جميعا مسيحين ومسلمين على السواء.. لعل وعسى يرجع أحفاد قتلة الأنبياء عن غيهم، ويتوب أبناء الذين وشوا بالسيد المسيح وباعوه بحفنة من تراب، فاسلموه إلى الجبابرة.

وحين نطالب قداسته بذلك فنحن ننطلق من فوق أرض كرمها الله، ونتحدث بلسان واحد فى القضايا الجوهرية، ونتمسك بوطن ووطنية واحدة، مهما حاول المخربون فى الداخل أو الخارج، المس بها بين الحين والآخر، ولك ياسيدنا أن تستمع فى هذا الصدد لهذا اللسان الواحد، من الأنبا أسطفانوس الثانى بطريرك المصريين الكاثوليك، ومن نائبه رجل الدين والعلم والثقافة الأب يوحنا قلتة دارس ومدرس الحضارة العربية والإسلامية، مثلما تستمع من الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى، ومن قداسة البابا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية.. وكل منهم له ماله من إيمان راسخ وعلم نافع وثقافة مستنيرة، فى بيئة وطنية متسامحة متعايشة، رغم كل غيوم الفتن الطارئة والخلافات الزائلة، بيئة تتناقض مع ما يجرى فى ايرلندا مثلا، حيث يذبح الكاثوليك والبروتستانت بعضهم بعضا حتى اللحظة!

وحين تستمع مباشرة ستتأكد ياسيدنا وضيفنا الكبير أن مصر التى استضافت الأنبياء وحمت الرسل والرسالات، وازدهرت فيها الديانات، وتعمق الإيمان بالإله الواحد الذى نعبده جميعا، هى الداعية اليوم وكل يوم لحوار الحضارات وتلاقى الديانات، وليست هى صاحبة دعوة صدام الحضارات وصراع الديانات، كما يروج له فى الغرب الآن.

■ ■ ■

لذلك فإننا شعب مصر، نتمنى أن تكون زيارتك لبلادنا ولقاءاتك مع رموزنا الدينية شيخ الأزهر وبطريرك الأرثوذكس وبطريرك الكاثوليك، فضلا عن بطاركة الشرق الذين سيأتون إليك هنا من سوريا وفلسطين ولبنان والعراق، تتويجا حقيقيا ودفعا قويا للحوار الإسلامى - المسيحى مع بدايات الألفية الثالثة، أملا بأن تكون هذه الألفية رمزا للتآخى الإيمانى والتعايش الدينى، بعدما حفلت الألفيتان الأولى والثانية بأسوأ الحروب الدينية والصدامات الحضارية والصراعات السياسية والاقتصادية والعسكرية.

نعلم ياسيدنا أن الأزهر والفاتيكان اتفقا منذ عام ١٩٩٨ على إجراء حوار مشترك، وأن كنيستنا المصرية الأرثوذكسية قد وقعت أيضا مع الفاتيكان على اتفاق منذ عام ١٩٧٣ للحوار هدفا للتقريب، ونعلم أن الفاتيكان بالأمس القريب، وتحديدا يوم ١٥ فبراير الحالى، قد وقع اتفاقا تاريخيا مع السلطة الوطنية الفلسطينية حول أوضاع القدس المحتلة وحول مستقبل الدولة الفلسطينية.. لكننا بالمقابل نعلم أن كل هذه الاتفاقات لا تزال تحتاج إلى دفع روحي

www.ethraadl.com
إثراء
المعارف الرقمية

الأهرام

بقلم

صلاح الدين حافظ

ومعنوى ومادى اقوى واشد، حتى تحقق خطوات عملية ملموسة فى طريق الحوار حول ما هو مختلف عليه، والتلاقى حول ما هو مشترك، وهو كثير كثير، رغم إدراكنا لطبيعة الخلافات حول العقائد والطقوس، سواء بين الإسلام والمسيحية، او بين كرسيكم الكاثوليكى وبين الكنيسة الوطنية الأرثونكسية، بعدما اختلفت الكنيستان وافترقتا منذ «مجمع خلقدونية» بتركيا عام ٤٥١ ميلادية.

نعلم ياسيدنا ان زماننا - المندفع فى المادية الهاجر للروحية - يصعب فيه تصفية خلافات قديمة تعود إلى ١٥٠٠ عام بين الكنيستين، بدأت فى المجمع المذكور حول طبيعة السيد المسيح، حيث مال باباوات روما - أسلافكم الكبار - إلى اعتقاد ان المسيح له طبيعتان ومشيئتان، طبيعة إلهية واخرى إنسانية، بينما رأت الكنيسة المصرية انه بطبيعة واحدة وله مشيئتان، وحيث ادى التباعد عبر الزمن الطويل إلى تفرع الخلافات بداية من بعض طقوس الصلاة، وإطلاق اللحية، وخلع الأحذية عند قدس الأقداس، ووضع تماثيل المسيح والعذراء فى الكنائس، وانتهاء بمن هو أحق برئاسة الصلاة المسيحية، بابا الفاتيكان أم بطريرك الأرثونكس.

نعلم ايضا ان هناك خلافات فى بعض العقائد والطقوس بين الإسلام والمسيحية، يصعب القفز فوقها مرة واحدة، لكننا ندرك أن ما يجمع بين الإسلام والمسيحية عموما، وبين الأرثونكس والكاثوليك خصوصا، هو الكثير، بل هو الغالب، لذلك يظل أملنا قائما - اغتناما لزيارتك المباركة لأرض مصر المحروسة بعناية الله - لكى تجعلوا الحوار المتباطئ الحالى بين الأديان، حوارا قويا وعمليا ومؤثرا، ليس فقط عند رموز وقادة المذاهب، ولكن أساسا بين المؤمنين جميعا.. لكى تبقى زيارتك المباركة، رمزا تاريخيا لهذا الهدف الأسمى!

■■■

اسمح لنا ياسيدنا ضيفنا، بعدما حدثناك فى هذا الجزء الروحى الإيمانى، أن نطرح امام قداستك بعض همومنا المؤرقة على عجل، فكما اسلفنا نعرف أن زيارتك روحية وليست رسمية او سياسية، لكننا نعلم أولا أنك ستزور الأرض المقدسة فى فلسطين خلال مارس المقبل بعدما زرت لبنان فى العام الماضى حيث تمارس إسرائيل سياسة الحرق والتدمير، ونعلم ثانيا أنك كرئيس لدولة الفاتيكان تمارس بعض النشاط السياسى، بل إن تاريخك السياسى منذ كنت رئيسا للكنيسة البولندية معروف، ودورك فى هدم النظام الشيوعى ببولندا فى العقد الماضى مشهود، ومواقفك السياسية معلنة، سواء مباشرة او من خلال دولة الفاتيكان.

●● أولا: لو أن قداستك سألت المصريين الكاثوليك (٢٥٠ الفا و٧ ملل و١٦٨ كنيسة) عن رايهم فى ماساة العراق وتجويع شعبه على مدى عشر سنوات، لاتفقوا معك ومعنا تماما بان هذه ماساة إنسانية لا يقبلها احد.. لكننا نعتب عليك ياسيدنا - إن جاز لنا ذلك - انك الغيت الجزء الأول من زيارتك للشرق، وكان مبرمجا زيارتك لمسقط راس سيدنا إبراهيم ابى الأنبياء فى منطقة «اور» جنوب بغداد.

والكل يعلم ان إلغاء هذه الزيارة قد تم بضغط سياسى هائل من الولايات المتحدة الأمريكية، بحجة انها قد تقوى نظام صدام حسين الحاكم فى العراق، ونظن أن مسيحيى مصر جميعا قبل مسلميها قد شعروا بخيبة أمل كبيرة، ونظن ايضا أن زيارتكم كانت ستشد انظار العالم «المتحضر» للأوضاع المتدهورة للشعب العراقى الذى على أرضه ولد ونشا ابو الأنبياء، فإذا بها اليوم تكاد تكون خرابا يبابا.

●● ثانيا: لا نملك حق النقد أو الاعتراض على العلاقات السياسية بين الفاتيكان وإسرائيل، ولا نملك حق الاعتراض حتى على وثيقة اعتذار الكنيسة الكاثوليكية تحت زعامتكم، لليهود ولإسرائيل، عما سمى تورط هذه الكنيسة فى أوروبا، مع النازى خلال الحرب العالمية الثانية، فى اضطهاد وقتل اليهود.

لكننا ياسيدنا وضيفنا الكبير نقف باندهاش امام إصدار الفاتيكان وثيقة هائلة المعنى والمغزى، هى وثيقة تبرئة اليهود من دم السيد المسيح!!

هل يملك بشر أن يغير فى العقائد الدينية بهذا الشكل، هل توافق الكنائس الأخرى غير الكاثوليكية على هذه التبرئة، فإن وافقوا، فمن حقنا أن نتساءل من إذن الذى وشى بالسيد المسيح ومن خانه وباعه وسلمه لجنود إمبراطور الرومان، ماذا عن كل ما سجله الواقع والتاريخ والصلوات عبر الفيتين مضتا؟!

مرة أخرى هل كان الضغط السياسى الذى تمارسه أمريكا، والابتزاز المستمر الذى تمارسه إسرائيل، هو الدافع وراء وثيقة التبرئة، فإن كان ذلك كذلك، فهل أصبحت الاعيب السياسة أقوى من ثوابت العقائد!

●● ثالثا: إن كان الاعتذار التاريخى لليهود مطلوبا الآن سياسيا تدعيما لإسرائيل وإطاعة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

لأمريكا، حتى قفز هذا الاعتذار فوق الثوابت التاريخية والعقائد الدينية، فما الرأى ياسيدنا فى مذابح الحروب الصليبية التى دامت على مدى قرنين، والتى انطلقت بنداء من سلفكم بابا الفاتيكان آنذاك، فدمرت وحرقت المشرق كله وقتلت الملايين من العرب والمسلمين، بحجة تخليص بيت المقدس من أيدى المسلمين والعرب البرابرة.. ثم انتهت خائبة منكسرة، بعد أن قاومها المسلمون والعرب بما فى ذلك المسيحيون العرب مواطنو هذه البلاد.. أرض الرسالات!

هل توضع هذه الفظائع التاريخية هى الأخرى على قائمة الاعتذار يوما ما؟!!

■■■

بقى يا سيدنا وضيفنا الكبير، فى ملفات التساؤل، موضوع فلسطين، قضيتنا وهمنا وروحنا فى هذا المشرق العربى.. أرض الرسالات!

نقدر كثيرا زيارتك الشهر المقبل إلى بيت لحم واريحا والناصرة والقدس، مهد السيد المسيح ومبعث دعوته ومسرى رسالته السماوية السمحاء وطريق آلامه، نقدر كذلك خطوتك الأخيرة بمباركة توقيع اتفاق مع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات فى منتصف فبراير الحالى حول الأوضاع فى فلسطين ودور الكنيسة الكاثوليكية بها وحول وضع القدس، وما جاء فيه من اتفاق الطرفين على أن أى قرار من جانب واحد يؤثر فى الوضع الخاص للقدس غير مقبول أخلاقيا وقانونيا، وأن إيجاد حل متكافئ لمسألة القدس يقوم على أساس القرارات الدولية أمر ضرورى لإيجاد سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط وأن من الضرورى الاتفاق على وضع خاص للقدس بضمانات دولية، يوفر حرية الدين والمعتقد، والمساواة بين الأديان الموحدة الثلاثة.. إلخ.

إن كل ذلك على أهميته ليس كافيا لتخليص أرض الرسالات من كل شوائب الصراع والعنف والتفرقة والعنصرية، التى يراها الجميع تجرى وتتجدد وتتعمق بسبب السياسات الإسرائيلية المتعنتة فى كل اتجاه.. ونحن نطمع فى أن تضع كل ثقلك الدينى والسياسى والشخصى وراء حل عادل وشامل متوازن لهذا الصراع المتعدد الجوانب، الذى القى بعبئه وتضحياته وخطورته ليس على الفلسطينيين فقط، ولكن على كل المنطقة من شرقها إلى غربها.

وليتك ياسيدنا وضيفنا الكبير تستمع إلى آراء الرموز الدينية الذين ستقابلهم فى مصر وفلسطين والأردن حول هذا الصراع.. ليتك تستمع تحديدا لرأى قداسة الأنبا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية وراس الكنيسة المصرية صاحبة المواقف الوطنية والقومية، سيحدثك حديث العالم الدارس عن فلسطين، وعن حقيقة الأرض الموعودة، وعن قتلة الأنبياء، وعن خيانتهم السيد المسيح، وعن فظاعة الاحتلال الإسرائيلى، وعن جبروت المشروع الصهيونى، وعن التعصب والتطرف والغطرسة، وعن موقفه وموقف كنيسته الوطنية من التطبيع وزيارة القدس، التى لن يدخلها إلا مع إخوانه المسلمين حين تتحرر من الاحتلال وتحلق فى الأفق حرة سامية مسالمة متسامحة!

نتمنى ياسيدنا فى زيارتك لفلسطين الا تتأثر بالابتزاز الإسرائيلى الذى سيمارسونه عليك، ردا على اتفاقك بالأمس مع ياسر عرفات.. فها هى الأنباء تؤكد أنهم يحضرون سيناريو الابتزاز، رغم ان انهم حصلوا منك على ما لا يمكن تخيله.. تبرئتهم من دم السيد المسيح عليه السلام!!!

سيدنا.. اهلا بك على ارض مصر المحروسة المباركة بامر الله سبحانه، تخطو فوق ترابها آمنا مطمئنا، يرحب بك شعبها الواحد الموحد بمسلميه ومسيحييه، ابتداء من حسنى مبارك وانتهاء باحمد ومرقس وفاطمة ومريم.

●●●

■■ خير الكلام: الله محبة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية